# الثقافة العربية بعيون الآخر
## (مقاربة تأويلية لنصوص مختارة لجورج غريغور)

# Arabic culture comprehension of others
(Hermeneutical approach of some Gorge Gregore texts)

**د.بن ضحوى خيرة**
أستاذة مشاركة بجامعة امحمد بوقرة
كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية
بودواو_ بومرداس_ الجزائر
k.bendahoua@univ-boumerdes.dz

تاريخ الإرسال : 2020/02/19 تاريخ القبول : 2020/10/26

الملخص:
التحدث عن ثقافة شعب من الشعوب ليس سهلا البتة، بسبب التداخلات الحاصلة في تكوين ثقافته زمنا وتاريخا، وفضاء مكانيا يختلف كل الاختلاف عن ثقافة الناقل لها، وبذلك فإننا في هذا المقال نحاول عرض بعض آراء وكتابات بل ورؤى المستعربين حول الثقافة العربية والإسلامية على حد سواء، مركزين على نصوص المستعرب الروماني جورج غريغور، ومستندين على ترجماته العربية إلى اللغة الرومانية، وكذا ما ترجمه من اللغة الرومانية إلى العربية، ورؤيته لبعض القضايا التي كان أغلبها فلسفيا ودينيا وإنسانيا أيضا، اعتمدنا في تتبعنا لهذه النصوص على المقاربة التأويلية، حتى نستطيع قدر الإمكان فهم رؤى المستعرب لثقافة بعيدة كل البعد عنه، وقد اخترنا كنماذج قرائية النصوص الآتية المترجمة من قبله والتي أعطاها هذا المستعرب عناية خاصة حولت عملية الترجمة إلى إعطاء مفاهيم عن هذه النصوص بالتحديد، من بينها" مفهوم الحب لدى ابن العربي"، و"شباب بلا شيخوخة وحياة بلا موت"، "الثقافة العراقية وأعراف الزواج".

الكلمات المفاتيح: نص، مستعرب، ثقافة، ترجمة، تأويل، مفهوم، مقاربة، وجهة نظر.

**Abstract:**

Speaking about the culture of a people is not easy at all, because of the interrelations that have taken place in the formation of their culture, time and history, and a space that is very different from that of the carrier, so in this article we try to present some opinions, writings and even visions of the Arabists on Arab and Islamic culture. The two centers on the texts of the Roman Arabist George Gregor, based on his Arabic translation into Romanian, as well as his translation from Romanian to Arabic, and his view of some issues, most of which were philosophical, religious and human, also. Following these texts, we relied on the interpretation approach. To be able to understand as much as possible the views of Arabists on a culture that is far from it, and we have chosen as reading models the following translated texts that have been given special attention by these Arabists, which have transformed the translation process into giving concepts about these texts, including the concept of love of Ibne Arabi, and "youth without old age and life without death". "Iraqi culture and marriage customs".

**Key words:** culture, translate, Arabist, concept, view, texts, hermeneutical

.

**مقدمة:**

تعتبر اللغة الوسيلة الوحيدة لتقريب المسافات بين الشعوب مهما اتسعت المساحات الجغرافية والأحياز الفكرية والأيديولوجية وأنماط العيش، التي تأخذ في الانحصار حول ذاتها كلما ابتعد المرء عن حيزه الذي نشأ وترعرع فيه، ونقصد بذلك الخصوصية المميزة لكل فئة من فئات المجتمع سواء في المكان نفسه أو في أمكان مختلفة، ولأن النفس البشرية جبلت على العيش وسط الجماعات، فإن أسهل طريقة لتحقيق ذلك هو إقامة روابط للواصل فيما بينها، تنبني على إنجاح العملية التواصلية بالاتفاق على مجموعة من الرموز والخطوط والرسومات التي تؤدي معنى ما، بحسب السياق الذي ترد فيه أو الهدف الذي استخدمت لأجله.

واللغة في هذه الحالة تخرج من دائرة وقوعها تحت مسمى القوانين والكتابة والقراءة والتدوين، إلى دائرة أخرى تمثل فيها العلامة الركيزة الأساس، لتصبح العادات، والحكايات والحركات، والألوان والهيئات ومختلف الطقوس لغة لها أساسيات لا يمكن فهمها إلا بمعاشرة الأقوام التي اتفقت على صوغها والاستمرار بممارستها، والتطوير بما يتطلبه العصر في بعضها، ولئن كانت اللغة في هذه الحالة الحامل والمحمول معا، فإن الثقافة تتماشى جنبا إلى جنب مع ذلك لتصبح العامل والمعمول أيضا، تتبدل بتبدل اللغة وناقلها، تتلون بألوانه مهما حاول الإنصات إلى ثقافة غيره، إلا أن التأويل لبعض ما يتلقاه ناقل ثقافة ما لبعض ما يقرأه في ثقافة غيره، هو بمثابة التقاء تيارين، لا يمكن أن نقول عنهما أنهما متعاكسين لكن يمكن أن نقول عنهما يمشيان في خط متواز، فلا يمكن أن تكون هناك حدود لثقافة ما، ولا توقف لثقافة ما وصيرورة أخرى، بل هناك حركة نحو اتجاه ما غير متوقف لا محالة.

ولذلك فإن نقل ثقافة من بيئتها الأصل إلى بيئة أخرى بالترجمة يعد نوعا من الدخول في عالم الغيرية، التي تحتم الغوص في الثقافة المُتَرْجَمِ لها، ويمكن أن نلاحظ ذلك ونلمسه بوضوح في كتابات المستعربين الذين مارسوا اللغة وتعرفوا على أساسياتها وتعاملوا معها ككيان خاص، يفتح أبوابا كثيرة لفهم العقلية والثقافة العربية، غير أن عملية النقل هذه لا يمكن أن تكون أحادية فقط، بل هي مزدوجة ازدواج لغة وثقافة المستعرب، ولذلك فلا يمكننا أن نجزم أن الثقافة العربية كما يراها المستعرب هي ذاتها النظرة التي يرى بها العربي ثقافته.

بل إن بعض التفاصيل التي قد يمر عليها الباحث العربي، قد تمثل للمستعرب الحجر الأساس في الانطلاقة البحثية، ونقل ما كان غامضا لسنين للضفة الأخرى غير العربية وكنموذج على ذلك اخترنا بعض العينات للمستعرب "جورج غريغور" التي مثلت إن صح القول الثقافة العربية بعيون هذا المستعرب، والتي سنحاورها مستندين على المقاربة التأويلية لبعض النصوص

التي كتبها باللغة العربية والمترجمة إلى اللغة الفرنسية والرومانية، والتي لم تخرج عن النصوص الدينية والصوفية على وجه التحديد.

الحاملة لأفكار كثيرة، لعل أهمها فكرة التحاور وعدم رفض الآخر، والنصوص المختارة لذلك من قِبل الكاتب طبعا هي نصوص قصدية، تحمل في طياتها الكثير والكثير سواء من حيث المضمون، أو من حيث اختيارها للتدليل، وسنبدأ مع فكرة لكاتب واحد لكن بطريقة مختلفة، حاورها الكاتب ونظر إليها بطريقة تتلاءم والطرح الذي أراده، والتي كان يركز فيها كل مرة على ما كتبه بعض أعلام الفلسفة والعلوم الإسلامية، في فترة ما، ولعل مبلغ ذلك هو محاولة إعادة طرح لبعض الأفكار التي جاءت في كتاباتهم، وبعض المفاهيم التي تغير تأويلها وفهمها عبر الزمن، بل صارت أداة يرتكز عليها في زرع الضبابية حول فهم الإنسان لعلاقته بمن حوله.

**الترجمة وسبل فهم الآخر:**

جنح المستعرب جورج غريغور إلى ترجمة ونقل ثقافة مغايرة عن ثقافته، بلغته الأم وباللغة العربية، التي كانت بالنسبة له الحل الأمثل للغور في تجربة فهم تفكير الآخر، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن شغفه بمحاولة ترجمة القرآن الذي صرح عنه في بعض مقابلاته أنه خطاب غير قابل للترجمة، وما فعله لا يعد سوى تفسير له بلغة أخرى لا غير مع ترك بعض المفردات والصيغ على حالها لتعسر وضع مفردة مقابلة لها[1]، ولعل هذه التجربة الفريدة من نوعها لمستعرب التي بقي ملازما للغة العربية في منابتها وفضائها، هي بمثابة مجازفة كبيرة، فاللغة العربية والثقافة العربية على حد السواء عالم له خصوصيته، وله تفرده تتقلب فيه المعاني كلما تغير السياق، وفي بعض الأحيان تعشق المفردات مكانها، فلا يجوز تغيرها بأخرى لأنها ربما أدت دلالة غير التي كانت تؤديها،هذا الأمر الذي جعل جورج غريغور يغوص في كل ما كُتب حول القرآن،من مناسبات للنزول وتواريخ، وتفسيرات بلغت عنان السماء من كثرتها.

وتلك هي نقطة الانطلاق التي جعلت اختياراته لبعض النصوص أمرا أملته ضرورة معرفة الشيء وأصله، أو بالأحرى البحث والتركيز، إما لتصحيح صورة ما، أو الدفاع عنها وفق ما يتوافق وما استخلصه من تجاربه ومما جمعه من معلومات تباينت من حيث الزمنية والمكانية، وتشاكلت من حيث الوجهة العلمية، مما دفعنا للتتبع ما كتبه حول موضوع رأيناه يتكرر في كتاباته، بل ويرتكز على قضية أساس، تمثل جوهرا واحدا وتعبيرا مختلفا عنها.

يركز جورج غريغور فيها على قضية "المحبة" أو "الحب المطلق" الذي لا يحتاج إلى لغة بحكم زئبقية حصره في دلالة معينة، لكن الأهم من ذلك هو تلونه بأكثر من لون، الأمر الذي يجعله يتعدى كينونته واستحالته ليكون عنصرا ماديا شبيه بقطعة البلور التي ما إن دخل إليها الضوء تبدت إشعاعاتها اللونية الأخرى كألوان الطيف، المنسجمة مع فهم الأذهان للقضية الأساس، وهذا الأمر يشبه ما كان يفعله الفلاسفة والمتصوفة ورجال الدين والأدباء والخطباء، كل يعبر عن جوهر ما، بما أوتي من دلائل وأخبار وتفسيرات قد تبدوا في ظاهرها مختلفة، إلا أنها تؤدي الغاية ذاتها في بعض الأحيان.

وكنموذج على ذلك اخترنا ما كتبه عن بديع الزمان سعيد النورسي، ومحي الدين ابن العربي، وباختصار هي قضية واحدة لكنها متعددة المخارج، الأولى تتحدث عن الارتباط الأرضي، فيما بين الكائنات الموثقة في رسالته المضمنة لقصة "البلبل والوردة"، والجانب الآخر الارتباط العلوي بين الخالق والمخلوقات والذي يتبدى في عمق النص سواء للرسالة الأولى أو الثانية، ثم ينتقل الحال كتوزيع مركز لقضية أخرى تجسد معنى الحوار بمستوياته المختلفة، وبهيأته وأزمنته وحتى شروطه، وكأن جورج غريغور هنا، يعيد تقليب النصوص التراثية لبعث قضية ما.

وحتى نكون على دراية بما نكتبه وننقله عن الآخر في فهم ثقافتنا نحن، فإننا لن ننسى أن ما يُكتب ليس خاليا من حضور ثقافة الأخر في التأويل والفهم، بل

إنها حاضرة وبقوة عن قصد وبغير قصد مهما بلغت درجة الموضوعية فيما كتب، ومهما حاول إبعاد تفسيرات قد يراها هو بحسب ثقافته، فإن فهمه للنص ما سيكون لامحالة فهما تمليه ضرورات قد يخرج المتلقي منها بنتائج ترضيه، وقد يخرج منها خالي الوفاض لما لها من تشعبات تحتاج للرجوع للأصول لمعرفة الحقائق وإدراكها، وللحصول على المعنى ما، انطلاقا من البحث في بعض الترجمات مثلا، والأسيقة الثقافية وبعض الإيديولوجيات.

هناك قضية مشتركة تحملها النصوص التي حاورها وكتب عنها المستعرب "جورج ريغور"، ولعل أهم حلقة فيها هي تلك التي جعلت السلاسل يترابط بعضها ببعض، ونقصد بذلك الجانب الديني، الذي كان المحرك الأساس لهذه النصوص، فنص النورسي مثلا في رسالة النور، يحمل العديد من الأفكار التي تجعل من المتلقي يعيد التفكير بعمق فيما هو حوله، كما تعيد ترتيب الأشياء من حول المرء على طبيعتها التي أتت عليها، دون رفض لها ما دام لا تخالف الشريعة السمحاء، ونص ابن العربي هو أيضا من النصوص الصوفية المعقدة التي بلغت فيها اللغة مبلغا لا يدركه إلا الخواص، فيا ترى لماذا اختار "جورج غريغور" هذه النصوص بالذات؟ ولماذا ركز على بعض الثنائيات الواردة فيها؟

بالرغم من أن النصوص المُحاورة من قبله دينية، إلا أن ذلك لم يمنع من ملاحقة الجوهر الذي فيها والمنبع الأصيل الذي استقت منه هذه القوة الروحانية في الألفاظ والمعاني، ولأن "الثقافات تفترض مسبقا وجود العلاقات"[2]، فإن الحجر الأساس في هذه الأعمال قائم على المشاركة والمحاورة، والسمو بالذات الإنسانية إلى أعلى المراتب، وذلك ما رنا جورج غريغور في نصوصه هذه، والتي اخترنا منها كعنصر أول حديثه عن سعيد النورسي في جزء "البلبل والوردة"، القصة المشهورة التي خرجت عن معناها الأول الذي ودلالتها التي وضعت لها إلى دلالات أخرى روحانية، يرى "جورج غريغور" أن مبلغ ذلك هو اعتماد النورسي على تراث الحضارات السابقة والمجاورة في كتابة نصوصه،

والتي تظهر جلية من خلال المصطلحات المستخدمة والدالة على ذلك، إذ "يستخدم النورسي في أعماله مصطلحات صوفية وشعرية من تراث الحضارة الإسلامية، والآداب الفارسية والتركية والأوردية"[3]، هذه الفكرة إن صح القول التي يبدأ بها جورج غريغور، تسحب خيوطا أخرى معها، وتعطي إمكانية تعدد هذه الفكرة في حضارات سابقة ولاحقة أيضا، ومادام هي كذلك فإن احتمالية إنسانية الرسالة وارد لا محالة، "والراجح عندي في هذا المقام أن النورسي خاطب في كتابه الذات الإنسانية، والذات الإنسانية تكمن في اللب"[4]، المتكون من ثنائية العقل والقلب، هذه الثنائيات التي توزعت بحسب رأيه في كتابات النورسي وفي قصة البلبل والوردة بالذات، والتي انطلقت من الثنائيات المادية وصولا إلى أخرى أعمق.

المسكوت عنه فيما كتبه "جورج غريغور" في هذا الصدد، هو التزام النورسي بمنهج يمزج بين اثنين متناقضين في الظاهر، أو بالأحرى لدى العوام، لكنهما في تلازم وتناغم لا يدركه إلا المتبصر، فصار لزاما على النورسي بإيجاد ما يتناسب ومخاطبة الناس في تلك الفترة كأن "يخاطب العقل بالسرد المنطقي، والقلب بالكلمات الجميلة الوارثة قيما شعرية هائلة"[5] بالفعل فإن مخاطبة العقل بالمنطق والقلب بالكلمات المشبعة شعرية، يوصل للإقناع، وهذا الأمر برغم ما استفادة المسلمين من علوم الأمم الأخرى، إلا أن هذه الطريقة وهذا المنهج ماهو إلا صدى للخطاب الإلهي وما جاء به القرآن من دلائل إقناعيه، فقد اعتمد النورسي على نهج السنة والقرآن الكريم بتبسيطه لكل ماهو حوله، والنظر إلى الأشياء والجماد وكل المخلوقات بعين التأمل والحكمة.

فكما رأى في حياة المخلوقات كلها مبدأ التعايش رافضا مبدأ البقاء للأقوى، رأى في الإنسان الذي هو أسمى المخلوقات جميعها، الحكمة البالغة من وراء خلقه، وهو العمل بالمحبة التي ترى في ما يعكر صفو الحياة لذة لا يستسيغها إلا عارف بالله، وخطاب النورسي بالنسبة "لجورج غريغور" هو مجموعة من

الاستعارات التي تعتمد على ما جادت به الحضارات والعلوم على تعاقبها الإسلامية والفارسية والتركية وغيرها، وما أضفاه على المعاني القديمة من إشباع كونها "مفهومة في المجتمع الذي يخاطبه"[6]، لكن السؤال بقي مطروحا نستشفه من اختياره لمدونة النورسي، لماذا النورسي بالذات؟ هل بسبب بساطة كتاباته وعبقريتها في الآن ذاته؟ أم لأمر آخر؟

**دلالات الخطاب المنقول بالاختيار:**

تتبعنا ماكتبه "جورج غريغور" لنجد الإجابة بشكل متوار في آخر فقرات من نصه حول تفكير هذه الشخصية، إذ ربط بين فهمه للحب "الذي تربط كل كائنات الله التي تفرح بالهدايا التي وهبها الله لغيرها مثلما يفرح البلبل بالجمال الذي وهبه الله للوردة"[7]، وبين ما ورد لدى بعض المتعبدين في أماكن مختلفة في العالم، فرأى البلبل فيهم جميعا، ورأى أن الوردة العنصر المادي الثاني يتوزع على أشكال كثيرة ومتنوعة، منها : الوردة في التراث الفارسي ووردة محمد في لتراث الصوفي التركي، والوردة لدى الشيعة، والوردة التي ترد بشكلها الأيقوني في هيأة الكأس لدى المسيحين الغرب أو رمز التضحية لديهم، وبذلك "فجورج غرغور" يرى أن "رمزية الوردة المرتبطة كل الارتباط بشكلها المدهش تستغلها بشدة حضارات أخرى، ومع أنها متباعدة مكانيا وزمانيا فهي تعيرها معاني متشابهة في دقتها ولطفها"[8]، إذا ركزنا في لفظة "تستغلها" التي وردت في هذا القول لوجدناها أقوى من أن توجد في مثل هذا المقام، لأن لفظة استغلال لها مدلولات قوية توحي بالتعسف في أخذ الشيء والاستئثار به دون أهله، مع أننا نرجح استخدام بعض الألفاظ من قبل المستعربين قد تكون بقصد ومرات بغير قصد.

القول السابق المذكور لم يكن إلا تمهيدا لما سيأتي فيما بعد والتي نعدها خلاصة جلها جورج غروري مقدمة لما كتبه فيما بعد لتصبح حسب رأيه" أعمال النورسي امتدادا لتراث غني"[9]، وحلقة ربطت بين عناصر كثيرة لتصبح على ماهي عليه، وبتلك الشهرة والمحبة من قبل المتلقي في زمانه وفي الأزمنة التي

بعده، لكن إذا القينا النظرة عن كذب لوجدنا السعيد النورسي رأى في أهم المواضيع التي يشترك فيها كل البشر كالموت تقسيمات ربما لا يراها الشخص العادي، فالموت ليصبح ما هو مؤلم، نعمة وتصبرا، فالموت في مظاهره الأربعة هو إنقاذ للإنسان من أعباء الحياة الدنيا وتكاليف المعيشة، وهو أيضا خروج من سجن الدنيا وضيقها والدخول في رعاية المحبوب، كما أنها انتهاء لمعاناة المسن الذي يحس وكأنه عبئ على من حوله، ولما كان النوم راحة للمتعب والمريض والجريح ومن أبتلي ببلاء كان الموت نعمة من الخالق[10] لحقله الذين يحبهم، فيريحهم من عذاب الدنيا لينقلهم إلى طمأنينة أخرى وكيف لا وهي من صنعه جلا وعلا.

ولأن المفردات الموجودة في نص النورسي مثلا، تحتاج إلى الكثير من التوقف والتدقيق، بسبب فهمها الذي لا يتأتى بسهولة، فإن الكتابة حول موضوع إنساني ينقل للضفاف الأخرى، وينظر إليه بعيون مغايرة تماما يجعل من النص حلقة مستمرة في الدوران وحركة تحتمل التأويل على أكثر من وجه، قبل هذا النص الذي كتب عن النورسي كتب "جورج غريغور" نصا موازيا له، يعالج فيه القضية ذاتها، ونقصد بذلك مفهوم التحاور وتقبل الآخر، الذي يراه هذا الكاتب في نصوص الذين أثروا بشكل كبير فيمن حولهم لسنين، ولعل أهم ديباجة يبدأ بها هذا الكاتب هي مقولة النورسي" إن كنت مؤمننا فأنت _انطلاقا من هذا الإيمان_ أخ لنا مهما كنت"، تلخص هذه المقولة التي ترددت في كتابات النورسي بصيغ عديدة مبدأ الإقرار بالإنسانية بشتى معانيها.

والتي عبر عنها "جورج غريغور" في مقال آخر خصصه للنورسي أيضا ولابن العربي، وجعل محوره الأساسي التحاور الإسلامي المسيحي، فأعاد بذلك التفتيش في جذور القضية التي كان يرى أن "حل كل النزاعات الدينية هو الحوار الناجع بين المؤمنين المنتمين إلى تلك الأديان، حوار حسب منظور_النورسي_مشيد على المعرفة الصحيحة لكل القيم الروحية الخاصة

بالأطراف الراغبة في إجرائه وعلى احترام كل إنسان بصرف النظر عن معتقداتهم، بشرط أن يكونوا مؤمنين حقيقيين"[11]، ويقصد بذلك توفره في الفئتين، مستندا على بعض ما جاء في القرآن الحكيم عن المؤمنين، ونظرة "جورج غريغور" لا تبتعد كثيرا عن من أثروا في الثقافة الإسلامية والعربية وغير العربية وغير الإسلامية أيضا، ومثلما رأى استفادة النورسي من كتابات الحضارات الأخرى على اختلافها، رأى في استفادة محي الدين بن العربي من بعض العلوم والفلسفات وعلوم الدين والكونيات.

لخص "جورج غريغور" مفهوم الحب لدى ابن العربي "في تقسيمين اثنين الأول حب الخالق للبشر والثاني حب البشر للخالق كما هو منصوص عليها في الآيات القرآنية، والتي تشغل حيزا مركزيا في كل النصوص الصوفية"[12]، كما رأى بأن هذا الخطاب الذي جاء كاملا مقارنة بالديانات السماوية السابقة المذكورة في القرآن ما هو إلا دليل على عمومية المحبة والرسالة، لكن "جورج غريغور" في هذه الحالة يضعنا في موقفين الموقف الأول هو ورود الديانات ذكرا في القرآن الكريم، والموقف الثاني هو احترام الآخر وتقبله حتى يتسنى التعايش بين البشر، أما المسكوت عنه هو كيفية فهم هذا الأمر من خلال كتابات المتصوفة وبعض المفكرين إن صح القول، في الحين الذي رفض فيه كل ما هو إسلامي وعربي في فترة من الفترات، يجيب "جورج غريغور" بطريقة ذكية جدا من خلال تكراره للقضايا نفسها، وهو اتخاذ نموذج من النماذج السالفة الذكر التي اتفقت جميعها حول المحبة المطلقة التي لا يحدها حد.

وبالتالي فإن السمو بالروح باعتبارها الجانب المقابل للجسد، هو بمثابة الحصول على الإجازة لفك شفرات ومعرفة الحياة وحقيقتها، أو بالأحرى حقيقة وجودنا على هذه الأرض، فبالرغم من الترجمات العديدة التي كتبت حول هذه القضايا إلا أننا نرجح أن فهمها بهذه الطريقة بالذات كما جاءت لدى "جورج غريغور" لم تتجاوز البحث عن: المحبة الروحية والإلهية، والجسدية، كما أنها

بقيت سجينة المفاهيم التي لا تأتى لأي شخص فكيف إن كانت من قبل مستعرب ومستشرق يشق طريقه أول مرة لفهم ما وراء اللغة العادية ونقصد بذلك اللغة الصوفية وما يعادلها.

الثقافة العربية والإسلامية بعيون الآخر قد تختلف من متلق لمتلق، حسب الثقافة والخلفية التي يكتسبها كل شخص، وحسب الهدف أيضا من محاولة معرفة ما كتبه العرب والمسلمون في نصوصهم وخطاباتهم، ومعرفة تقاليدهم وطرق عيشهم وبما أن" الثقافة تميل إلى التقليل من احتياجات الإنسان أو الحد من درجة إشباعها، وبهذه الطريقة توسع في آفاق الحرية الداخلية للإنسان"[13]، فإن طلب المعرفة ونشرها بما تتطلبه الحياة يستدعيها وجوب تحقق المنفعة التي لا تضير بمن هم حولنا، بل يمكن أن تكون تعريفا لهم ونقلا لمكتسباتهم الثقافية التي ظلت مرفوضة من قبل الآخر، ونذكر في هذا الصدد ما قام به "جورج غريغور" الذي حاول التعريف بتقاليد الزواج العراقي بدفتيه السنية والشيعية حسب قوله، موضحا أن تقاليد الزواج في العراق تمشي وفق ترتيب يحتم مدارسة العائلة كلها حول الموضوع المطروح، والتي تبدأ من الأمهات التي تخبرن أزواجهن برغبة ابنهم في الزواج واختيار العروس، وينتقل الاهتمام ذاته في حال بلوغ الشاب السن المناسبة للزواج حتى وإن لم يطلب البحث عن عروس، فإن العائلة تجتمع لذلك.

و"جورج غريغور" في هذه الخطاب بالذات الذي ينقله للآخر، يعبر عن لا عشوائية هذه الحياة التي تقتضي المشورة والمشاركة، بدء من أكبرهم سنا إلى آخر فرد في العائلة كلها وبذلك فهو يزيل بعض اللبس عن الذين لا يعرفون عن ثقافتها أي شيء، والذين يظنون أن الزواج بالنسبة للعربي والمسلم في بلاد العرب ماهو إلا حالة من الغموض والفوضى واللانتظام، كما يشير إلى قضية هامة وهي القواسم المشتركة بين أهل السنة والشيعة فيقول "هذا التقديم المختصر عن تقاليد الزواج بالعراق يومئ بإقرار علاقة متينة بين المسلمين في

العراق السنة والشيعة منهم"[14]، وبذلك هو يطرح القضية الأعم من القضية من قضية حيز يختصر على فيها الكلام على فئتين تعيشان في مكان واحد، "جورج غريغور" ينظر هنا لهذا التقليد كأنه فرصة لمعرفة الآخر، والتعمق فيما لديه لفهم الحقيقة التي لا ترى للسامع فقط بل للذي عاشها بالفعل.

وخلاصة القول هنا تبدو واضحة المعالم إذا ما عرفنا أن هذا الرجل قد عاش مدة من الزمن بين العراقيين، فهم كلامهم وطريقة عيشهم، تنقل بينهم وسمع أخبارهم وحكاياتهم، جلس بين كل فئات ولا زال كما يقول يحن للتجربة ذاتها لو أنه يتاح له العيش مرة أخرى، أو يعود به الزمن لاختار ما فعله أول مرة، لذلك فإن ما يصدح في كتاباته ماهو إلا صدى لما عرفه وقرأه، وتعلمه فكانت بمثابة العين التي يرى بها الثقافة العربية والإسلامية من منظور خاص، ترى في تجارب المسلمين نموذجا يحتذى به في تطوير المحاورة وقبول الآخر، وكأن "جورج غريغور" كان المستعرب الذي مثل حلقة الوصل بين الضفتين، مؤكدا بين طيات أسطره وكتاباته الثانية على حواف النص على النظر من جديد إلى التراث الإنساني بما فيه نظرة التفحص لا نظرة الحُكم القطعي القائم على اللاموضوعية، لتقديم أفكار يمكنها تغيير واقع ما.

أو بالأحرى وجود الإيجابية في النقل والترجمة من ثقافة إلى ثقافة أخرى مغايرة تماما، لتصبح ردا بعد ذلك على الاستعراب السلبي الذي مارسه الكثير من المستعربين قبله، وبما أن القضية الأساس هي "فهم ثقافة العربي والمسلم على حد سواء" من ممارسات وعادات، وسبل العيش، والتعبير عنها والكتابة بلغتها، فإن إعادة قراءتها مرة أخرى ومن مستعرب مكتشف وناقل في الوقت ذاته، هو بمثابة إعادة قراءة خطاب رهنت نشأته من نصوص أخرى حصل عليها الكاتب سماعا ومشاهدة ومعايشة وقراءة، ولا نبالغ إن قلنا أن خطابه كان واصفا في بدايته، ثم تمدد نحو رفض خطاب الاستعراب السلبي، مكونا خطابه

الخاص الجامع لروافد معرفية مختلفة "كالصوفية، والقصة التراثية، والعادات والتقاليد".

## هوامش المقال:

1 ينظر: اليزابيت لاسكوني، حوار مع جورج جريجوري، ترجمة عمر بن عبد العزيز، "المستشرق جورج جريجوري متحدثا عن ترجمة القرآن الكريم"، الرافد الالكتروني. ص: arrafid@sdci.gov.ae.01

2 مايكل كاريذرسن لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة؟ الثقافات البشرية نشأتها وتنوعها، تر: شوقي جلال، سلسلة كتاب عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص:59.

3 جورج غريغوري، الثنائي البلبل والوردة تعبيرا عن الحب القائم بين الخالق والمخلوقات في كتابات النورسي، النور للدراسات الفكرية والحضارية، السنة الخامسة، العدد: 09، يناير 2014، ص:22.

4 جورج غريغوري البلبل والوردة تعبيرا عن الحب القائم بين الخالق والمخلوقات في كتابات النورسي، ص: 22

5 المصدر نفسه، ص: 22.

6 جورج غريغوري البلبل والوردة تعبيرا عن الحب القائم بين الخالق والمخلوقات في كتابات النورسي، ص: 65.

7 المصدر نفسه، ص: 67.

8 جورج غريغوري البلبل والوردة تعبيرا عن الحب القائم بين الخالق والمخلوقات في كتابات النورسي، ص، 68.

9 المصدر نفسه، ص، 69.

10 بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، تر، إحسان الصالحي، دار سوزلر، اسطنبول تركيا، 1992، ص، 9/8.

11 جورج غريغوري، الحوار الإسلامي المسيحي من منظور النورسي، كتاب المؤتمر السابع لبديع الزمان سعيد النورسي، اسطنبول، تركيا، 2004، ص، 344.

12 Gorge Grigore، le concept d'amour chez Ibn Arabi، centre of arabe studies، ROMANO ARABICA 2.BOUKHARIST. 2002, P89." Il importe de rappeler ici que l'amour universel a deux composants ، d'une part l'amour de dieu pour les humains, et d'autre part, l'amour des humains pour dieu comme il a été énoncé dans le verset coranique qui occupe une place central dans tous les commentaires soufis"

13 علي عزت بيجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، تر، محمد يوسف عدس، مؤسسة العلم الحديث، بيروت، 1994، ص، 96.

14 Gorge Grigore, marriage Iraqi style, Gil Edmesti, journal of modern Iraqi arts 23." This brief presentation of the marriage ، XX VII. No4, 2012, p،and culture voi customs of the Iraqi shows, that there is a strong resemblance between all Muslims in the Iraq be they Sunni or Shiite".

## قائمة المصادروالمراجع:

1 بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، تر،إحسان الصالحي، دار سوزلر، اسطنبول تركيا، 1992.

2 اليزابيت لاسكوني، حوار مع جورج جريجوري، ترجمة عمر بن عبد العزيز، "المستشرق جورج جريجوري متحدثا عن ترجمة القرآن الكريم"، الرافد الالكتروني arrafid@sdci.gov.ae.

3 جورج غريغوري، الحوار الإسلامي المسيحي من منظور النورسي، كتاب المؤتمر السابع لبديع الزمان سعيد النورسي، اسطنبول، تركيا، 2004.

4 جورج غريغوري، الثنائي البلبل والوردة تعبيرا عن الحب القائم بين الخالق والمخلوقات في كتابات النورسي، النور للدراسات الفكرية والحضارية، السنة الخامسة، العدد، 09، يناير 2014.

5 مايكل كاريذرسن لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة؟ الثقافات البشرية نشأتها وتنوعها، تر، شوقي جلال سلسلة كتاب عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص،59.

6 علي عزت بيجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، تر،محمد يوسف عدس، مؤسسة العلم الحديث بيروت، 1994.

7 Gorge Grigore, le concept d’amour chez Ibn Arabi, centre of arabe studies, ROMANO ARABICA 2.BOUKHARIST. 2002

8 Gorge Grigore, marriage Iraqi style, Gil Edmesti, journal of modern Iraqi arts and culture voi، XX VII. No4, 2012